احمد زكي ابو شادي



المطبعة السلفية - بمصر

أحمد زكي أبو شادي



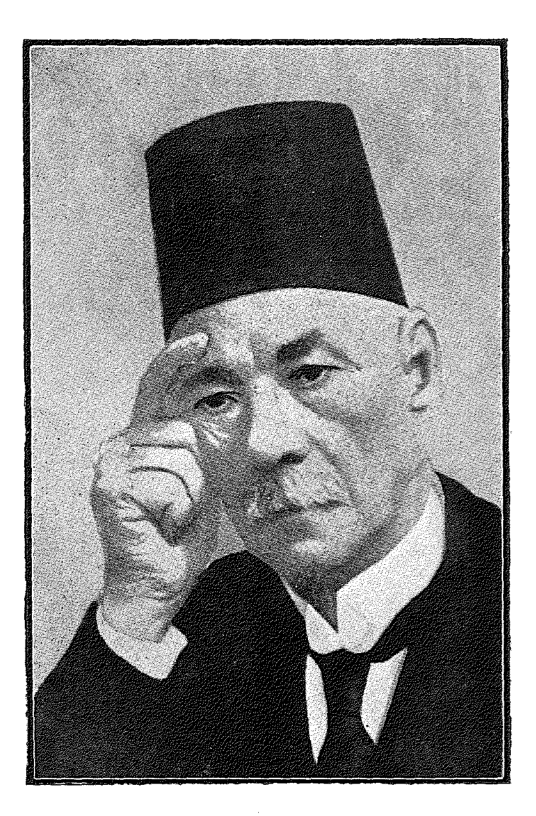
المطبعة السلفية - بمصر

الطبعة الاولى

حق إعادة الطبع محفوظ للناظم

١٣٤٦ هـ . — ١٩٢٧ م .

ثمن العدد : عشرون مليما



ساكن الجنان المغفور له

سعد زغلول باشا

رسول الوطنية ورمز البطولة

مامات من أحيا كرامة امة وأعز دولتها بغير سلاح

تَصْدِير

مات سعد . . . يا للقدر . . . ! يا للفجيعة . . . ! صدّقي يادنيا أو لا تصدّقي لقد غالت صُروفُكِ العقلَ الجبّارَ، والرجلَ الحديديَّ الجذّابَ ، والشخصيّةَ المستوعبةَ الساحرة . . . . أحْبَبْتِه وأعْزَزْتِهِ بل وقدّستِهِ ، وضمنتِ له السؤددَ والخلود ، ثم عجزتِ عن أن تحميه جُثمانًا من غوائل حدثانِكِ . . . . أيّةُ خسارة هذه ! وأيّةُ نكبةٍ للمواهبِ وللعلمِ ، وللاصالةِ والسياسةِ ، وللخُلُقِ المتين والنزاهة ، وللفضل والبطولة المجسَّمة ! . . . .

سعد . . . مَنْ كان يُعْشَق ويُرْهَب — رجل المضاء ، رجل الجِدّ المُضْني والنظر البعيد الثاقب ، رجل الدّعابة الحلوة المهذّبة الفاتنة ، رجل الحكمة السياسية والعناد العجيب واللين الآسر ، رجل الديمقراطية ، رجل الثورة والاصلاح ، رجل المساونية والانسانية ، رجل الجيل ، رجل الساعة . . . . اندبيه يا مصر ! أبّنيه يا دنيا حينما تُغفلين فوارقَ الأجناس والأديان واللغات ، حينما تقدّرين الفِكْرَ الحرَّ والذهنَ الوقّادَ والجوهرَ المتألّقَ

الساطعَ . . . . اندبيه واستغفري الخلودَ والناس ! . . . أبنْيه ضحيةَ قدرك ، وهو الذي ما عاش لنفسه بل عاشَ رافع المثل الاعلى في منارك . . . !

غاب سعدُ ونحن أحوجُ ما نكون الى نُبلِه، الى عقله وتجاربِهِ ، الى عواطفه الكبيرة المُلْهِمة ، الى شجاعتهِ الفائقة ، الى نزاهته البالغة ، الى عظمته المكوّنة المُوحِيَة . . . . غاب والنّاسُ في هَلَعٍ وذهولٍ وحَيْرَةٍ ، وقد صدمتهم الفاجعةُ الاليمة أيَّةَ صدمةٍ فأصبحوا كالفلاسفة المجانين ، يفزعون الى جنونهم ، ويتأسّون بجنونهم ، ثم ييأسون ويصيحون ويولولون !

مات سعد . . . . فواحسرتاه ! . . . رجلٌ ولا كالرجال ! عَلَمٌ خَصّتْه الطبيعة بكلّ مظاهر العظمة ، قوّةً وضعفاً ، روحاً وجسماً . . . . كيف يُرْثَى وكيف يُعَزَّى عنه ؟ ! وهل العزاء إلاَّ مغالطة العاجز الضعيف الحيلة ، الخاضع للقدر ، المتناسي نكَبَةَ الانسانية المتكرّرة وحيرتَها وفزعَها ويتْمَها وترميلها . . . ؟ ! حسرةً وألفَ حسرة ! . . ذهب الخطيبُ — خطيبُ المشاعر والجوارح والقلوب ، صاحب الصوت الشجيّ المَوْهوب ، واللفظ الرصين البالغ ، والعاطفة المتدفّقة الراوية للوجدان ، المذكية أحرّ

الحماسة في الجوانح ! . . . ذهب القائد الغلاّب فاتحاً ومدافعاً !. . .
ذهب الطبيبُ المؤاسي الذي عُقدتْ عليه آمال أُمةٍ تائهةٍ ، بل رجاء
شعوب مقهورة استوحت منه معاني العظمة والبطولة والتضحية ...!
ذهب رَجُلُ المعجزات الذي عصمه الشعبُ بيقينه من الخطل
والزلل . . . ! ذهب العبقريُّ العصاميُّ الفذُّ الى غير رجوع !...
ذهب ابنُ مصر البار ورافع نهضتها الوطنية الحديثة الى غير عَوْدَةٍ
الى قلبها الدامي المسلوب ! . . . واأسفاه ! ويا لهول الخطب !
ويالنكبة مصر وخسارة الانسانية الفادحة في هذا المثل النادر من
نبوغ ومآثر ومواهب وصفات ! . . . لا أعذلك أيها الشعب في
غلوّك واندفاعك . . . كلنا واحد في الشعور بعبء المصيبة
وفداحة الرزء . . . لم لاتنوح ؟ ! لم لاتجنُّ من الحزن القاتل ؟ ! لم
لاتنقضّ على النعش لترفعه فوق الهامات . . . ولتحمله الرؤوسُ
بالتعاقب على ممرّ الاجيال ؟ ! لِم لاتحول دون إيداعه اللحد وما
كان يُحْمَلَ إلاّ فوق الاكفّ ، وما كان يُنْزَل إلاّ منازلَ
التقديس ؟ ! نُحْ أيها الشعب ففي البكاء طهارة الوجدان ! . . . نُحْ
واندبْ وارثِ ما استطعت ! . . . تفجّعْ واسْلُ العزاء ، ولكنك
لن تكون جديراً بحزنك وانتسابك الى سعد والى موطن سعد اذا

لم تستجمعْ ما انتشر فيك من مواهب سعد ، ومن بطولة سعـد ،
واذا لم تنصر مبادىء سعد بما كان له من مضاء !

***

فُوجِئْتُ في فجر اليوم المشؤوم (الاربعاء ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ م .) بنبأ الفجيعة الوطنية العُظْمَى فأدمتْ فؤادي وأهرقت عبراتي ، وتدفَّقَ شعر الاسى من نفسي بين عواطف ثائرة غالبة وفكر يجـاهد في تشجيع الشعبِ الثاكلِ نَاصِرَ حُرِّيَاته وقائِدَه الاعلى ، فنظمتُ قصيدتي « مأتم أمة » في جلسةٍ عاجلةٍ ، ثم لم تكفني تعبيراً عن شجوني وآلامي وحسراني البالغـة ، فأخذتُ أنظم قصيدتي « التّراث الخـالد » اتلْقَى في ذكرى الاربعين ، ولكني لم أستطعْ مغالبةَ طبيعتي وعواطفي الدافقة ، فلم أطِقْ صبراً على التمهُّلِ في النظم وأتممتُها في جلستين في غير تَعَمُّلٍ ولا تنميق . وأشـار عليَّ نفرٌ من اخواني الادباء بنشرهما في هذه الرسـالة للذكرى والعـبرة والتشجيع ، في وقتٍ عزَّ العزاء ، وغلب اليأسُ الرجاء .

فالى رُوحِ سعد الخالد أرفع هذا الشعرَ النَّفساني وإن كنت قد خصصتهُ في حيـاته بأعظم وأخاص شِعْرِ مديحي وتقديري ،

والى الأمّة المصرية النبيلة والى العالَم العربي الكريم أُقدّم عصارةَ قلبي وفكري ووجداني التي أذابها الحزنُ والتلهُّفُ على مآل النهضة القومية ، راجياً أن يكون من هذا الشعرِ بعضُ الغذاء والدواء للنُّفوسِ الدامية وللهِمَمِ العليلة ؟

الاسكندرية فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ م .

احمد زكى أبو شادى



مأتم أمة

سعد

رسول الوطنية المصرية وفقيد الشرق

سامحْ شجيٌّ مدامعي ونُواحي !
طاحت[1] بموتك دولةُ الاصلاح !

يا ذاهباً وبكلّ نفسٍ بضعةٌ
من رُوحهِ ، خُلّدتَ في الأرواح !

من كان يبلغ ما بلغتَ اذا نأى
يُبْكَى كما يُبْكَى الغُروبُ الضاحي[2]

والشمسُ تضحكُ للدموع ونورُها
يهتزُّ بين تعاتبٍ وتلاحٍ[3]

نحن الذين نخافُ عند مغيبها
من عالمِ الاوهامِ والاشباحِ

وهي التي تبقى متوّجةَ السَّنا
والارضُ دائرةٌ دوارَ فلاحِ

(١) طاحت : تاهت .
(٢) تعمد الشاعر أن يصف الغروب بالضاحي — أي الساطع مجازا — لما تفسره الابيات التالية . (٣) تلاحي : ملاومة .

قسماً بقدرِكَ ما رحلتَ مودّعاً
لـكنْ ذهبتَ الى جديدِ صباحِ !
ستعيشُ في شتّى المظاهر واهباً
للنُّورِ والإلهـامِ والإفصـاحِ
فإذا بَكيتُ فما بـكيتُكَ جوهراً
لـكنْ بدمعٍ للتخـاذلِ ماحِ
واذا توهّمتْ الفضائلُ يُتمَهَ
عذْراً ، فجسمكَ هيكلُ الصُّلاّحِ !

* * *

ماذا ؟ . . . أتُنعَى أنتَ ياعلَماً له
علَمٌ على الحقِّ المُسَيْطِرِ ضاحِ[1] ؟ !
أنُظَنُّ مَيْتاً والعقولُ شهيدةٌ
بوجودِكَ المتـألّقِ الوضّاحِ ؟ !
ما ماتَ من أحيـا كرامـةَ أُمّةٍ
وأعزَّ دولَتهـا بغيرِ سـلاحِ

---

(١) ضاحي : بارز للشمس .

الواحدُ الجبّارُ عند رسوخهِ
للحقّ يطردُ جيشه ويُلاحي (١)
والدائمُ النظراتِ في تعليمهِ
وكأنه سُوَرٌ من (الاصحاحِ)!

* * *

سِفرٌ يُدبّجها (الخلودُ) مناحةً
وتُخَطُّ بين جنازة الأرواحِ!
آمالُ أمّتك الحزينةِ مُثّلتْ
بصنوفِ أهليها وبالفلّاحِ (٢)
فلكلّ طائفة عُرِفْتَ مواسيا
ودموعُها وافتكَ غيرَ شِحاحِ
في موكبٍ وجمَ (الزمانُ) حيالَه
فمضى بجِقْبَتِهِ كعصفِ رياحِ!
لم يدر فيه الخَلْقُ كيف تصرّفتْ
ويلاتهُ فمضَوْا الى الشُّرّاحِ!

---

(١) يلاحي: يقاتل .

(٢) خصص الشاعر الاشارة الى الفلاح لنشأة الفقيد العظيم من أوساط الفلاحين ولأن الفلاح يمثل سواد الامة المصرية .

يمشون في نَسَقِ المنظَّمِ سيرُهُ
وهو العثُور بِرزئِهِ الفدّاحِ [١]
وتُنكَّسُ الاعلامُ حوالَكَ من أسًى
وهي التي حيّتك في الافراحِ
والناسُ تلجأ للصُّموتِ ولم تكنْ
ترضى بغيرِ تهافُتٍ وصياحِ
وسماعِ صوتِكَ يا خطيباً عُمرُهُ
خُطَبٌ سَمَوْنَ بأشرفِ الاوضاحِ [٢] !
سكتوا ، ومن بين الجوانح ناطقٌ !
سَكْرَى ، وكلٌّ في وفاتِكَ صاحِ !
صَرْعَى المصاب ، وما تملّكَ حسَّهم
عسْفٌ ، وأسرى في انطلاقِ سراحِ !
والجندُ مثل الشعبِ ليس لصبرهم
حُكْمٌ على شجَنٍ لهم مُجتاحِ
تجري الفجيعةُ في خُطوطِ وُجوهِهِم
جريَ الدموعِ على خدودٍ ملاحِ

(١) العثور : الكثير السقوط . والفداح : الصعب المثقل .
(٢) الاوضاح : المظاهر .

وبنوهُ أبطالٌ دَعَوْكَ فلَم تُجبْ
بعظيمةِ الآلامِ والأتراحِ
يمشونَ كالاسَدِ المكبَّلِ صاغراً
في ذُلِّ أوجاعٍ وعزِّ كفاحِ !

* * *

لِلّهِ هذا اليومَ !... كيف يهزّني
هزّاً ، ويسقيني أمرَّ الرّاحِ
بتعاسةِ المحرومِ من أحلامِهِ
وشقاوةِ المسمومِ بالاقداحِ
في موقفِ المنصورِ خلفَ رئيسهِ
والطائرِ المأسورِ دونَ جناحِ
والشّعرُ يجري في دموعِ يراعتي
جَرْيَ السّوادِ على رُبًى وبطاحِ
لبستْ عليكَ اليومَ (مصرُ) حدادَها
مِنْ بطنِ تُربتها الى الادواحِ

وأبتْ شرابَ (النيل) وهو بحُمرة
فيها دلالةُ حزنِهِ السحّاحِ [1]
وأرَى الازاهرَ في ذُبولِ سماتِها
مثل الوفاءِ لدى ذهاب سَماحِ
وأرى الجداولَ في دوامِ خريرها
ترثي البخيلَ بدرّها المسماحِ
وأرى الطيورَ على طويل أنينها
حيرى لغيبةِ ربّها الصدّاحِ
وأرى جميعَ الطيّباتِ (بطيبة)
في مأتمٍ صدفتْ عن النُّصّاحِ
أو لستَ أنتَ مجمّعًا أشتاتَها
مسترجعًا عهداً كعهد (فتاح) [2] ؟!
وأبًا لحرّياتِها وحياتِها
فنداكَ محفوظ على الالواحِ ؟!

---

(١) السحاح : المتتابع الغزير . وحمرة ماء النيل اشارة الى ابليز الفيضان حيث توفي سعد باشا وقد بلغ النيل وفاءه .
(٢) عهد النهوض القومي والازدهار الادبي لمصر القديمة .

صُبغتْ به حُمْرُ الوُرُود وضُرِّجتْ
بدم بذاتَ مدامعٍ لاقاحِ [1] ؟!
وتشبَّعتْ بجميلِ حبك غضة
فتجاذبتْ بأريجها الفيّاحِ
وطنٌ خصَصْتَ به حنانكَ كلّه
فسرى مُشاعاً فيه دونِ جماحِ
فعليه مَسْحَةَ ما أفضتَ من الهوى
ولنا يعودُ الشوقُ عَوْدَ مُباحِ !

* * *

تمضي وقد مضتْ المعاركُ نُضْرَةً
للشعبِ بين تحايلِ ونطاحِ
مستسلماً للموتِ [2] لاعن رهبةٍ
لكن بحسّ المنقـذِ الفتّاحِ
كالقائدِ الغلاّب يضمنُ يومَه
لغـدٍ فيرقدُ بعد جهد طِماحِ

(١) الاقاح : جمع اقحوان (daisy) وزهره أبيض مفلج الاوراق تشوب طرفه أو وسطه الحمرة أحياناً .
(٢) آخر ماقاله الفقيد للسيدة الجليلة زوجته : « أنا انتهيت . . . » وكأنما أشار بذلك الى انتهاء واجبه القومي لا الى انتهاء حياته فحسب .

والسّيدرِ الربّانِ يبلغُ شطَّه
فينامُ نومَ الظافرِ الملاّحِ
يُغفي (١) فيحسدُهُ دعيٌّ لم ينمْ
والنومُ رمزُ تغلُّبِ الطمّاحِ
تتحدّثُ الانباءُ عنه وليس ما
ظنّته بعد جلالهِ بمُتاحِ !

* * *

صفحاً لمرثاةِ الوفاءِ صريعةً
شعرُ الوفاء كفجركَ المُنْصاحِ (٢)
خطأً أسمّيهِ « الغروبَ » فانّه
مبدأً لآمالٍ بزغْنَ صِحاحِ
وكذاك شعري في الرّثاء مُرَوَّعاً
مسفوكُ أحلامٍ وبعضُ أضاحِ (٣)
إنْ كنتَ تجزيهِ البقاءَ فهل ترى
يَبْقَى النّدَى في غيبةِ النفّاحِ ؟ !

(١) يغفي : ينام نومة خفيفة .
(٢) صريعة : طريحة . والمنصاح : المضيء . يقال انصاح الفجر بمعنى أضاء .
(٣) أضاحي : جمع أضحية بمعنى ضحية .

عِشْ رغمَ أنفِ الدّهر أيَّ مقدَّس
والبثْ (كرو مانيس) والمصباحِ !
متلمّسين على الظلامِ شعاعَه
نحو الحقيقةِ خُبِئَتْ بصفاحِ !
نحو المآثرِ والمفاخرِ كلِّها
نحو العوارف من رِضَى المنّاحِ
قد كنت تُكْرِمُ مُسْتَعِزَّ عواطفي
وتُسَرُّ من أدبي الشريفِ السّاحِ
ولو استطعتُ اليومَ نشرَ كريمِهِ
برًّا لجاءَ طهورةَ الارواحِ(١)
لكنّ مثلكَ في صفاتِ خلودِهِ
باتَ الغنيَّ غِنًى عن الامداحِ
(فرعون) أنتَ بعزمةٍ ومهابةٍ
وبجرأة وتسامح (كصلاح)
حتى بموتك فالعيونُ غضيضةٌ
لحجاك مقتولاً بغيرِ جراحِ(٢)

(١) استعمل لفظ الارواح هنا بمعنى خلاصة العطور (Scents) .
(٢) يتضمن البيت أيضا اشارة الى نوع مرض الموت الذي أصابه .

مِثلَ (المسيح) قضى شهيدَ محبة
ليعيش فوق تناول السفّاحِ
وكذاك أنت قضى الزمانُ قضاءه
في الجسم فاستعلى الجنانُ الصاحي !
وينازع (التاريخَ) فيك عظامهُ
العارفون تناسُخَ الارواح !
مِنْ كلّ مَفْخَرَةٍ قبستَ جواهراً
فزهتْ بتاجِ ذكائكَ اللمّاحِ
وحفظتَ (للنيل) الفخورِ مكانةً
تبقى برغم تتابعِ النُّزّاحِ
عشتَ السَّخيَّ بكلّ تَضحيةٍ له
وتموت في الاحياء أيَّ إباحي !

٢٤ اغسطس سنة ١٩٢٧ م .



التراث الخالد

نظمت لذكرى الاربعين

أنتَ تَرْقى الآنَ مَرْقى الخالدِينْ ... وتفوتُ الذِّكرَ للأحفادِ دينْ!
وتقوم اليومَ فينا حَكَماً ... يرقبُ الجهدَ ونُبلَ الجاهدينْ
ملهِماً من قبرِهِ أضعافَ ما ... كان يُوحيه بصرحِ الحاكمين(١)
صلَوات الشعب قامتْ باسمهِ ... مثلما رنَّتْ أماني المنشدينْ!
وغدا في الذكر يستحييه مَنْ ... طالما عاداه بين الكاشحين(٢)!
توَّج (الموتُ) جهوداً كوَّنتْ ... نهضةً ناجتْ محيَّاكَ الدفينْ!
واسترحتَ الآنَ لكنْ بعد ما ... أُكمِلَ الفرْضُ على نورِ اليقينْ!

* * *

هكذا الأيّامُ مرَّتْ لوعةً ... أربعون كالقرون الأربعين(٣)؛
ذكرَتْ (مصرُ) بها مُوجِدَها ... بعد مَوتِ الجهل والخُلْفِ المهينْ
هيكلَ التقديسِ مَنْ ضحَّى كما ... كان مَحْضاً من بُطولاتٍ قُضينْ
واهبَ الميراث لا يَبْلَى وإنْ ... هذه الأطوادُ مِنْ نَسفٍ بَلِينْ!
الجريءُ النَّدْبَ لم يقْدِمِ على ... مأرَبٍ إلاّ بوجدانِ الامينْ

(١) دار البرلمان. (٢) الكاشحين: المعادين.
(٣) اشارة الى مبدأ مجد مصر القديم.

والعفيفَ النفْسِ لم يطمحْ الى ... غيرِ تحريرٍ لشعبٍ مستكينْ
رفَعَ الاكمامَ عنه فاغتدى ... مُفْصِحاً بالحسِّ والحبِّ المُبِينْ
وهو يبكي اليومَ من إيمانِهِ ... يُتْمَهُ الباقي على مَرِّ السنينْ

* * *

يا شهيدَ الفضْلِ دَعْني راوياً ... سيرةَ المجدِ مَنَاراً للبنينْ
واصفاً « شخصيةً » في كُنْهِهَا ... طالما قد حار ظَنُّ الباحثينْ!
كُنْتَ رَمْزاً لاعتدادِ النفْسِ لم ... تَخْفِضِ الرأسَ لجبّارٍ لَعينْ
كُنْتَ جبّاراً رحيماً سيّداً ... ينشرُ الاصلاحَ مثل المُرْسَلينْ
كُنْتَ مِقْداماً فلم تسكنْ الى ... راحةِ العيشِ وعيشِ القابعينْ(1)

دائمَ الهَمِّ لِهَمٍّ آخرٍ
دائمَ السَّعْي الى الأسْمَى الخَدِينْ(2)!

دائمَ الجذْبِ لفضلٍ وعُلَى ... فحييتَ العمرَ أقوى الجاذبينْ!
كُنْتَ ذاكَ الطفلَ يمضي تاركاً ... قريةً أعطتْه رزقَ القانعينْ
يطلب العِلْمَ لدى (الازهر) لا ... يرتضي حَظَّ الصغار المُجدبينْ
ثم يُدْعَى كاتباً بل هادياً ... ينثر الآياتِ بالنثرِ الرَّصينْ
ثم يأبَى ذلك القَدْرَ فما ... يكتفي الاّ بغوث البائسينْ

(١) القابعين : الخانعين المستكينين . (٢) الخدين : الصاحب .

رافعاً صِيتَ (المحاماةِ) كما ... يُكسِبُ النورُ الدّجى الحظَّ الثمين!

ثم يرقى لِعُلى (القاضي) الذي ... يمنحُ العَدْلَ بإخلاصٍ مكين

ثم يغدو (كوزيرٍ) آمرٍ ... أطوعَ الخُدّامِ للشعبِ الغَبين!

واهباً أنفاسَهُ الحرّى الى ... نُصْرَةِ الشَّعْبِ وخَذْلِ الظالمين

تاركاً كُرْسيَّهُ في عِزَّةٍ ... للمجالِ الرَّحْبِ حُرّاً لا يَدِين

باعثاً من عزْمِهِ (جمعيةً) ... تُنْقِذُ التشريعَ من قَدْرٍ مَهِين

وتؤدّي صوتَ (مصرٍ) بالغا ... مسمعَ الطاغوتِ مرهوبَ الرنين!

ثمَّ تقضي هكذا عُمْراً لنا ... مِدْرَهَ الحقِّ ومأواه الحصين

مُفصحاً في قُدْرَةٍ محسُودَةٍ ... عن بلاغاتٍ بهَرْنَ المُعجِزين!

لستُ أُحْصِيها فكم من موقف ... جلَّ عن حصرٍ وعن وصفٍ يَزين!

كنتَ فيه الفاتنَ المعبودَ بل ... كنتَ فيه ساحراً للساحرين!

ترصد الاحداثَ حيناً صابراً ... ثم تجزيها يقينَ الصابرين

لم تكُ (الحرْبُ) التي قد أشعلَتْ

هذه الدُّنيا لتُنسيكَ الانين

صُنتَ رُوحَ الشعبِ من ضَعْفٍ وكمْ

عاشت الحرْبُ على المستضعفين

ودأبتَ العامَ بعد العامِ في ... رفعةِ الشُّورَى ودَفعِ العابثين

جاهداً تبغي لنا استقلالَنا في وفاءِ الخلفاءِ الراشدينْ!
لم تكن «و كانتَ» الاّ مظهراً أنتَ أهلٌ للتجلّي وقمينْ
أنت كفؤٌ لاتباعٍ شاملٍ طبقاتِ الشعب في المحتشدينْ
مِنْ شيوخ هتفوا في حبّهم لصغار لم يكونوا صاغرينْ!
وغوانٍ وعذارى أشرقت مثل حور في جمالِ النفس عينْ
أنتَ رَمزُ (النيل) والأرض التي تودعُ (النيلَ) أماني الاولين!
قوّةٌ من قوّةٍ من حقّها رفعة الصّوت وتكليلُ الجبينْ
بدّدتْ مجهودَها في نفعِنا بين نفيٍ وعذابٍ لسجينْ
وشقاءٍ وعناءٍ دائمٍ ونضالٍ شطرَ جانٍ مستهينْ
كلما صوّبَ سهماً بالغاً ردَّه الايمانُ والعقلُ الـكمينْ
فجزيتَ الحبَّ برّاً صادقاً وجزاكَ الخلدُ عقبى المحسنينْ!

* * *

حسرتي! يا حسرتي في موقفٍ مُضعِقٍ بين جموع الذاهلينْ!
قلتُ جهدي كلّ تشجيع لهم وأنا الأولى بتشجيع الحزينْ
ما عزاءُ الحرّ عن فقد الذي كان للأحرار ذخرَ المهتدين؟!
ما عزاء الرشدِ عن عقلٍ له حكمةُ الرسل البناةِ المرشدينْ؟!

ما عزاءُ القلْبِ عن قلبٍ له
خيرُ أحلام البرايا أجمعينْ ؟ !

ما عزاءُ الخَلْق ـ مهما أسرفوا
في رجاء ـ عن نوَى الوافي الضنينْ؟!

الذي يبكيه حتى خصمه والذى يرثيه كلُّ العارفينْ
في جميع العالم المُصغي الى صوته من قبل في بأس ولينْ!
العظيمِ البرّ في تَضْحيةٍ والعظيمِ البخْل بالخُلْق المتينْ!؟

عَبَثٌ في عبَثٍ في عبَثٍ
أن أواسي أوْ أداوي الجازعينْ!

سَكْرَة الاحزان لم تترُكْ لهم مَوْضعاً للحِلْم أو همًّا يَلينْ !
وأنا الشاعرُ لا ألقَى الأسى غير ترديدي لآياتٍ بَقِينْ

رُبَّ خطْبٍ وَعْظهُ كان الرِّضى
لقلوبٍ وعقولٍ ماكُفينْ

فَلْتَصغْ يا خاطري مُسْتَجْمِعاً سورةَ المجدِ لخير الفاتحينْ
مِنْ مَعاليه ومن تكوينهِ فهو مِثْلُ النور يَخْفَى ويَبينْ !
أنتَ عَوْني يا خليلاً مُخْلِصاً برفض الوهمَ ونظمَ الغافلينْ
قِطَعٌ من مُهْجَتي ما صُغتَه كلُّ شعري بهوَى القلب رهينْ

ما توانت في انتظام مرة — إنما الشعر لاحساس معين

* * *

يا مصاب النفس في النفس التي — أسكنت جسماً لاجلال قرين!
قامة من هيبة تعنو لها — عند تزويد عيون الجارئين!
في إعتدال سره أخلاقه — ووقار لم يكن قط ظنين (١)
وسمات صانها الوجه الذي — يعلن الاعجاز وضاء الجبين
ومشيب كخيوط الشمس قد — أشرقت ذات شمال ويمين!
وانقباض تارة من عزمة — هدت العسف وكيد الخادعين!
وابتسام مرة عن طيبة — حلوة كانت نعيم المخلصين!
وحديث تنصت العليا له — مثل إنصات المنى والعالمين!
وجلال ودعابات لها — قوة الوعظ ورشد الصالحين!
كل هذا قد مضى حلماً وقد — تورث الاحلام رعب الحالمين!

* * *

يا حبيب الشعب يا رائده — يا عديم المثل بين النابغين
يا سماء في سماء أطلعت — عشرات من نجوم بل مئين

---

(١) الظنين : المتهم .

لا تَلُمنا في غلوٍ . . . قلّ ما نبذل اليومَ بحسّ الآفلين
مستمدين . العُلى منكَ كما كنتَ تُسدِينا وكنّا الظافرين
إنّ روحاً أنتَ مَجلى سرّها رغم حكم الموت قد تحمي العرين!
ورُفاتاً كنتَ فيها سا كناً
قَدَرُها أن تسكن (البيت) الكنين (١)
قدرُها التقديسُ من برّ الأُلى كنتَ فيهم قِبلةَ للمتّقين
قدرُها حجٌّ اليها دائماً
في خُشوعِ الناهضينَ الشاكرين
لم يُنلها (الهيكل) الزاهي عُلى
بل أنالتْه فَخارَ الخاشعين! (٢)
لم تكن الآ معاني نهضةٍ ومبادي فائزٍ في الطامحين!
وعظاماً ناطقاتٍ حالُها غيرُ حالِ الميتين الهامدين!
رَضيتْ عن نُقْلَةٍ في جيرةٍ لمكان مُنْجِبٍ للمنجبين
والحزينُ الشعبُ يبقى ناظراً يومَها الداني ليوفيها الحنين!

***

خسيء (الموتُ) فما أغدَره جاهلاً يَرعى جموع الجاهلين!

---

(١) الكنين : المصون . والبيت : « بيت الامة » .
(٢) اشارة الى الهيكل المصري الذي تنوي الحكومة الشعبية اقامته مع ضريح الفقيد العظيم بجوار بيت الامة.

كلُّهمْ أبناؤهُ في عالَمٍ دائمِ النَّوْحِ لفقدِ العالمينْ!
يُحصدُ (الموتُ) معاليهمْ كما يحصدُ المِنْجلُ غرسَ الغارسينْ!
ويموتُ (الجهلُ) لكن عرَضا
مثل قصفِ الشوكِ أو طحن الوَزينْ! (١)

كم جَنى – في ثورةٍ – مستهزئاً بإمامٍ وحكيمٍ ورزينْ!
عابثاً بالملكِ غِرّاً لاعباً بالبرايا والعظام السائدينْ!
أين (سَعْدٌ) سيداً في شعبه يأمرُ الآلافَ أمرَ المالكينْ!؟
تهتف الدنيا له في موكبٍ والعظيمُ (الدهرُ) بين الهاتفين!؟
أين شيخُ المجدِ يدعو خاطباً
فتموج الأرضُ تحت المنصتينْ؟!

أين مَن كانت حياةً للورى شفتاه ، أو مماتَ الآثمينْ
أين (مِينا) عصرِه في قومه حفَّه التقديسُ ملءَ التابعينْ؟!
أين أين المِدْرَهُ العاتي الحِجى
يرفع (الدُّستورَ) تاجَ السائسينْ؟!
أين أين الكاتبُ الفذُّ الذي
يُرْقِصُ الالبابَ رقصَ الهائمينْ؟!

---

(١) الوزين : حب الحنظل المطحون .

أين أين المُفتدِي (النّيلَ) بما زاد عن طَوْق جميع المفتدينْ ؟!
أين أين (المَثَلُ الاعْلى) الذي كان فرقانَ العُلى للمهتدينْ ؟!

***

نالني العِيُّ بيوم هدَّني غيرَ شِعْرٍ من دُموع وأنينْ !
لَم أطِقْ صَبْراً على تدوينه كصلاةٍ لِنوَاح النائحينْ !
وأنا اليومَ وإن مَرّت على
صَدْمَتي الأحداثُ مازاتُ الحزينْ
المظيمَ الوجدِ مأخوذاً وقد
شفَّني سُكْرُ الأسى في الشاربينْ
غارقاً في حيرتي الكبرى كما يُفحَم الطفلُ أمام الصاخبين!
لستُ أدري مَظهَرِي من عَدمي
وكأنِّي في مَدى فهمي جنينْ !
وكأني لم أكن في مرّةٍ بشُيوعِ الموتِ بين المؤمنينْ !
إيه يادُنيا اذا (سَعْدٌ) مَضى
كلُّ ما قدَّمْتِ من غالٍ مَهينْ !
علِمَ اللهُ يقيني باعثاً أخلصَ التشجيع بين الحائرينْ
علِمَ الرُّشدُ ! كتفائي بالاَسى لفؤادي الموَحشِ العاني الرهينْ

غيرَ أني لم أُطقْ كتماً له كلُّ صبرٍ سوفَ يَفنَى بعد حينْ
فاصفَحي يارُوحَ (سَعْدٍ) واسمَحي
باعترافِ الجازعينَ العاثرينْ!
بعضُ هذا البثّ يُحْيي أنفُساً في ذبولٍ بعد نار الثائرينْ!
أنتِ نُورٌ سَرْمَدِيٌّ خالدٌ بينما الأفرادُ من ماءٍ وطينْ!

* * *

أسمَعَ (البُومُ) صِياحاً مُنكَراً
ضدَّ رُوحِ الشعْبِ خلْفَ الصَّائحينْ
بئْسَ هذا البُومُ مِنْ حزْبٍ له شارةُ العارِ وفخرُ الخائنينْ!
هل نَسَوْا (سيشيلَ) إذ قد مثَّلتْ
خطَراتِ الوحْيِ من (سَنْت هلين)؟!
هل نَسَوْا فينا عناداً دائماً للطُّغاةِ السافلينَ الهادمينْ؟!
كيف تهوي امةٌ (سَعدٌ) لها دائمُ الايحاءِ يَهْدي السائلين؟!
كان في العيش العزيزَ المُعتلي وهو في الموتِ رجاءُ المحتفين!
إنْ يكن منعاه أصمى دولةً حسبُنا اليومَ خِلالٌ مانُعينْ!
كم عظيمٍ مَوْتُهُ أحيا له أشرفَ الذكرِ ومَوْتَى التابعينْ!
دافعاً بالمُحْتَذِي أعماله للجهادِ الحرِّ بلْ والوا كلينْ!

كلُّهم يعبد إلهاً ماً له   كلهمْ يُرضيهِ حظٌّ العابدينْ!
كلهمْ يرفضُ دعوى قالها   والِهُ الكتّاب بين الناعبينْ
رفضوا تصديقَ موتٍ ناله   ثم ما زالوا جموعَ الرافضينْ!
كلُّهمْ يبكي فراقا هائلاً   بينما يشعُرُ بالروح الأمينْ
مطلقي الحزن كداوي مدنفٍ   أنطقتْهُ حسراتُ المطلقينْ
كلهم (سعدٌ) وإنْ لم يعلموا   يحسنون الهزْءَ بالمستوزرينْ!
قد جروْا حقًّا على أسلوبه   قدوةَ البذْلِ وعزْمَ الطامحينْ
ما همُ فخرٌ بما لم يتخذْ   منه (سعدٌ) فخرَه للسالكينْ
واستمدُّوا مثله من (مصرهم)   جذوةَ الحبِّ (لمصر) و(أمون)
بحياةٍ قدّستْ كم هتفوا   وبغالي الذكْر صاروا يهتفونْ
سائرين اليومَ في ظلٍّ لهُ   مثلما كانوا الكماةَ السائرين
أقسموا بالمبدأ السامي له   أن يظلوا في جهادٍ عاملينْ
والذي يذكر (سعداً) مُقسماً   لا تسلْ عنه ظنونَ المرجفينْ!
أمةٌ في وحدةٍ في عزمةٍ   تنسف الفوضى وكيدَ الحاسدينْ

* * *

يا عظيمَ العيشِ والموتِ معاً   إنما الموتُ مماتُ الهالكينْ
إسمك اليومَ خلودٌ دائمٌ   ويمينٌ لنهوضٍ ويمينْ(١)

(١) يمين الاولى بمعنى معين، والثانية بمعنى قسم.

يا كتاباً جامعاً آلامنا وأمانينا لشتى القارئين
كلُّ ما مثّلتَ حقٌّ ثابتٌ ورجاءٌ لقرونٍ وقرون!
واسمُكَ التمثالُ يغنينا هُدًى
عن (مثال) الفنّ و(البيت) الثمين!
اسمُ (سعدٍ) ... يا له من قوةٍ
هزّتْ الدنيا وفكّت مُقعَدين!
في سبيلِ (النيل) ما قدّمته من دمٍ غالٍ ومن مالٍ مَهين
وعذابٍ بين نَفيٍ مُسقمٍ وكفاحٍ مُرهقٍ للباطشين
ونشاطٍ دائمٍ من همةٍ تترك الشبّانَ حقاً حائرين!
وتَوالي تضحياتٍ جمّةٍ كنّ ألقابَ العُلى للنابهين:
في سبيل الحقّ ما عانيته من غرور الجاهلين العابثين
دائمَ البِشرِ فلا الشؤمَ ترى مظهرَ العزمِ ولا الحقّ المُبين
كم أيادٍ سمحةٍ أسديتَها لقلوبٍ ونفوسٍ وعيون
جامعَ الاديان في (مصر) التي أصبحتْ دينَ الهداةِ العاقلين!
طارحاً كلّ انحلالٍ وأذى من ديانات الخلافِ المستبين
كنتَ عنوانَ النزاهات التي لم ينلها قبلُ غيرَ المرسلين!
كنتَ قطباً للسياسات التي
أنقذتْ (مصرَ) ومجدَ الغابرين

كنتَ دَوْماً ثائراً في حكمةٍ　　　واعتدالٍ ومُنىً لاتنْطوين !

بنتُ (مصرٍ) مِثلُ أهليها غدَت　　　حُرَّةً تحيــا حياة العاملين.

حسبنا منها جميــلاً باقيًا　　　كم جميلٍ لكِ في الشّعب رهين!

إن نَسيناه فلسنا أُمَّةً　　　لبقاء ، بل سَوامُ الراكبين !

فاحتفظْ بالذكرِ ياشَعْبُ وسُدْ　　　إنّما أنتَ مدَى الدّهر مدين!

٢٩ ـــ ٣٠ أغسطس ســنة ١٩٢٧ م



